

العلم في ألمانيا

لم تحرز ألمانيا التفوق الباهر على الشعوب المتدنة في فروع العلم والصناعة إلا بفضل انتظام جامعاتها وارتقاء كليتها فهي تتجدد على مرور الزمان وتتطور بأطوار العصور وتراقب الاختراعات والاكتشافات في جامعات أوروبا وأمريكا الكبرى فتناظرها وتنافسها فهي تبعث كل عام في العطلة المدرسية بوفود علمية مؤلفة من فحول العلماء والأساتذة ومعهم فريق من نوابغ التلامذة ونخبة أذكيائهم لنطواف في عواصم العالم المتمدن والتفتيش عن نظمات دور العلم والصناعة والجامع الأدبية والفلسفية والطبية والخاصة المالية والاقتصادية وذلك لاقتباس ما يناسب الروح الألمانية فتعود البعثة مزودة بأجد الأفكار وأحدث الأطوار وتطبق حينئذ العلم على العمل وعلى هذه الطريقة ترسخ أقدام التجدد في تلك الكليات التي أصبح لها أفضّل العظيم في تكوين الوحدة الألمانية، وتشيد أركان هذه الإمبراطورية الواسعة التي أرهبت العالم بقوتها وصوتها وامتداد سلطانها في قلب القارة الأوروبية بعد أن كانت شعوباً متفرقة وإمارات متشتتة ومعرضة لإطماع الفاتحين والغزاة من القياصرة والملوك. قال بسمارك في حديث له مع أحد المكاتبين الحربيين في حرب السبعين أن ألمانيا لم تنتصر على فرنسا في ميادين القتال والزال إلا بفضل النظام ناشئها ورجاحة عقول شبيبتها التي أدركت المنافع الوطنية من طريق المدرسة وعرفت أن حياة الافتراق والانشقاق لا تفرق كثيراً عن الموت الحقيقي والانقراض الطبيعي فليست مهارة القواد الألمانين وكثرة الجيوش وقوة السلاح هي التي

نصرت ألمانيا على عدوها بل المدرسة الألمانية والعقل المدني هو الذي عقد ألوية النصر والفوز على رؤوس الألمانين فالحروب الحديثة لا تأثير السلاح والكراع فيها وإنما العامل الوحيد للانتصار فيها هو العقل والتربية والنظام ونمو الروح الوطنية وفي الحقيقة أن ألمانيا لم تكن على جانب كبير من العلم والتقدم يوم اكتسحا نابليون وأخضعها لسياسته وجبروته فقد كانت حينئذ ميداناً للفن وكان الخصام والتراع والبغضاء سائدة مستحكمة في قلوب أمرائها وملوكها فلما أنشئت المدارس في أرجائها وشيدت المدارس في أمصارها وأقطارها وأشرقت شمس العلم والعرفان في البلاد أصبح من الخزي والعار أن يخضع الألمان لأجنبي فاتح فكان من آثار تلك النهضة العنيفة فحضة سياسية أثرت الوحدة الألمانية وأعقبها انقلاب عجيب في العلم والصناعة والتجارة والزراعة.

للجامعات الألمانية بما تكتشفه وتخرعه فيما ينفع الحضارة والعلمان المقام الرفيع بين كليات العالم المدني ولها الامتياز على غيرها من الكليات باتباعها خطة بث الاستقلال الفكري والاعتماد على النفس وحب العمل والتجرد إلى ما ينفع الوطن والعنصر وقد فضلها بعض العلماء الباحثين على جامعات الفرنسيين والإنكليز والأمريكيين من هذه الوجهة، ومما أذاع شهرة الكليات الألمانية وجود دور المساعي والمباحث العلمية التي أنشئت كفروع لها يطبق فيها التلميذ النظريات على العمليات بعد نيله الشهادة بالامتحان ففي إحدى كليات ألمانيا نحو خمسين فرعاً لها من دور البحث والتقيب في المسائل العلمية وهي تشمل على عدد كبير من المكتبات والمتاحف والمصانع لإجراء التجارب الفنية في الطب والكيمياء والهندسة وعلم طبقات الأرض والفلك وغيرها من فروع العلم والصناعة التي توسع مادة الدماغ الألماني وتعدّه أهلاً للاكتشاف والاختراع.

في ألمانيا اليوم دور خطيرة للباحث العلمية غير ما تقدم من المصانع الخاصة بالجامعات وهي أوسع نطاقاً وأعظم دائرة منها اتفق على تجهيزها بالأدوات العلمية وتوفير أسباب البحث والتنقيب فيها مئات الملايين من الماركات فكان لها النتائج الحسنة والفوائد الغزيرة في الحرب العامة فقد توفى العاملون فيها وهم من خيرة علماء الألمان إلى اختراع أشياء كثيرة أفادت السلاح الألماني في ميادين القتال فاكشفوا مادة كيماوية أطلقوا عليها لفظ - بروغليسرين - فاستعملوا مقام مادة - الغليسرين - الذي كانت تجلبه ألمانيا من الديار الأجنبية قبل الحرب فانقطع وروده بسبب احتشاء أساطيل الأعداء في البحار وقد أنتج هذا الاختراع أثراً حسناً في إظهار مقام المدينة الألمانية ولما استعمل الأعداء المواد الخائفة في مقاومة الجيش الألماني بعد أن أعيتهم الحيل والمكائد الحربية وفشلت خططهم واختلت نظاماتهم اخترع علماء الألمان الباحثون في تلك المعاهد والمصانع مادة كيماوية أبطلت تأثير الغازات الخائفة التي حرمت القوانين الدولية استعمالها رافة بالعنصر الألماني والجامعة البشرية وعلى أثر امتداد الحرب نفذت بعض المواد الإبتدائية في ألمانيا فاكشف الكيماويون وعلماء النبات مواداً ثابت منابها وقامت مقامها فلم يجد الألمان يد العوز والافتقار إلى غيرهم من الشعوب المتحايدة واستغنوا عن سواهم بعقولهم وأعمالهم.

من حسنات دور ألقنون الألمانية إجراء التدريس في دائرة الاستقلال والحرية لإنهاء ألفكر وتربية العقل، فالأستاذ في الجامعة غير مضطر إلى توفيق محاضراته وخطبه مع مستوى عقل التلميذ واقتداره فهو قانع أن طلابه مستعدون لقبول ما يلقيه عليهم من الدروس العالية ومختلف الأفكار والآراء. أما التلميذ في الكلية فهو حر مستقل كأستاذه يطلب العلم الذي يراه لائقاً بنفسه ويصبو إلى الأستاذ الذي يعتقد فيه النفع والفائدة لعقله

ويشتغل بدروسه على مقدار ما تميل إليه الروح والنفس وما يفوته من شوارد خطب أستاذه يستطيع أن يجده في مكتبات الكلية العاصمة بمئات الألوف من الجلدات في علوم مختلفة فإن أحط جامعة في ألمانيا لا تخلوا من مكتبة واسعة تسد حاجة التلميذ وتوسع مادة علومه ومعارفه.

أما التدريس في المدارس التالية وهي التي تعد الناشئة للدخول إلى الجامعات الكبرى - وتقبلها عندنا المدارس السلطانية - فهو جار على أصول الخانسة فالأستاذ فيها يراعي قاعدة مراقبة التلامذة وأطوارهم وطباعهم وقياس عقولهم واقتدارهم فهو يتفنن في تلقين الطلاب وحثهم على استماعها والمل بعقولهم إليها، والمراد بأصول الخانسة في المدارس الألمانية هو التزام الجد والاعتناء في إجراء الامتحانات سواء في قبول التلامذة الجدد أو في الامتحانات السنوية بحيث لا يستطيع أحد أن يجد فرقاً في العلم والعقل والاقتدار والكفاءة بين تلامذة صف من الصفوف بخلاف مدارسنا التي يجلس على مقاعد صفوفها الذكي أفاضل إلى جانب الغبي الخامل وهو ناجم فينا عن مراعاة العواطف والالتباس في الفحص السنوي مما أدخل بنظام مدارسنا خللاً بنيغاً ولندارس التالية الألمانية عناية خاصة بأطوار التلامذة فهي تنتخب لهم مشاهير الأطباء في الأجسام والعقول لإجراء الكشف الطبي فالتلامذة المصابون بأمراض وعمل مختلفة والمبتلون بالخمول والجمود أو الحماقة وخفة العقل بطريق الوراثة لا تجوز لهم مخالطة غيرهم في المدرسة بل ينقلون إلى مدارس خاصة بهم تتوفر فيها أسباب معالجتهم ومداوتهم مع إعطائهم قليلاً من العلوم والفنون على ما يناسب اقتدارهم وتكون غالباً تلك المدارس قائمة بين الغابات والأحراج أو على ضفاف الأنهار حول المروج وغيرها من المواقع الطبيعية.

ومما هو جدير بإطالة النظر وإمعان الفكر قلة المدارس الليلية في ألمانيا بالنسبة إلى ما في بلاد الشعوب الأوروبية والأمريكية. فالألمانيون لا يقبلون عليها ولا يميلون إليها وهي تكون على الأغلب ملجأً للمنقطعين وأبناء السبيل وغيرهم من أفقراء والمسغبين الذين يتعذر عندهم إعاشة نفوسهم مع الاختلاف إلى المدرسة وطلب العلم أما الأغنياء والمتوسطون وبعبارة أخرى كل من يستطيع أن يقوم بنفقة ابنه وقربيه في داره فهم يفضلون المدارس النهارية على الليلية، ومنشأ هذا الميل اعتنائهم بحياة العائلة وتربيتها فالوالد يرغب من صميم فؤاده أن يكون طفله قرياً من حياة أسرته مشاركاً لها في معاشها كي لا يطرق الخلل إلى تربيته وأخلاقه الموروثة عن آبائه وأجداده فهو يود أن يشرف دائماً على أطواره وعاداته وأخلاقه وتربيته ويرجح أن يمضي ولده سواد الليل في داره وبين أركان عائلته على أن يكون نائياً عنها في مدرسة ليلية.

ولا تقل مدارس الإناث في ألمانيا رقياً وانتظاماً عن مدارس الذكور وقد فاقت ألمانيا غيرها من أمم العالم المتسدين في هذا الشأن وبرزت عليها جميعها فالمائة الألمانية - حسب شهادة بعض العنساء - أعلى كعباً في العلم وأرقى أخلاقاً وأشرف نفساً من المرأة في فرنسا وانكلترا وأميركا وإيطاليا والنمسا فهي خلقت لتربية أطفالها ومشاركة زوجها في أعماله وتخفيف كروبه وخطوبه ولها عناية كبرى في تدبير منزلها لا يسابقها أحد في هذا المضمار وهي أقل نفقة من النساء الفرنسيات والأميركيات والإنكليزيات ولا تميل إلى البهجة والفخخة بل تقنع بالألبسة المتينة البسيطة وتجتهد في اجتناب ما ينافي أطوارها الاجتماعية ويمس تربيتها وأخلاقها، والفضل في ارتقاء المرأة الألمانية عائد بالطبع إلى انتظام مدارس الإناث وإحكام أصول التدريس فيها وهي تنقسم إلى ثلاثة فروع أو أقسام

فالأول هو إعداد ألفتيات لندخول إلى الجامعات الكبرى والإحصاء في علم من العلوم كالطب والهندسة والفلسفة والتربية والتعليم والاجتماع والآداب والثاني هو النحوق بدور المعلمات لتخريج معلمات من الجنس اللطيف أخصائيات في التربية والتعليم وإدارة المعاهد العلمية والثالث من أهم فروع مدارس الإناث هو المدارس الخاصة بالنساء الراغبات في علم تدبير المنزل وتأليف الأسر وإنشاء العائلات ويشترط على اللاحقات بهذا الفرع أن يكن من حاملات شهادة البكنوريا وقد أصبح لهذه المدارس أثر خالدي ارتقاء الحياة الاجتماعية والانتظام السائد في المدارس الألمانية فهي تنشئ ألفتيات على أساليب علمية وأصول راقية بحيث تكون الخريجة منها صالحة لإدارة منزلها وتربية أطفالها ومعاشرة زوجها فالمرأة هي الحاكمة والأميرة المطلقة في دارها فإذا لم تكن عالمة بشؤون الاقتصاد وأصول التربية والأخلاق والمعاشرة تصبح وباءً على أسرتها وزوجها فشقاء الأمة بشقاء المرأة وسعادتها قائمة بتربيتها وتعليمها.

وبالإجمال فإن ألمانيا لم تهمل فرعاً من الفروع العلمية سواء في التربية والعلم والأخلاق والصناعة والتجارة والاقتصاد وجميع الماديات والمعنويات إلا وأدخلته إلى كنياتها ومدارسها التي لم تأل جهداً في إخماء الروح الوطنية في قلوب الناشئة إذ تنتخب لهذا الأمر الخطير أساليب بديعة وطرائق متنوعة بحيث يخرج التلميذ على جانب من العلم والفضل مع الوطنية الصحيحة والمبادئ العالية فيكون ألمانياً صادقاً بميله وأفكاره وطباعه لا يحب غير ألمانيا ولا يميل إلى غير وطنه وعصره، ورجلاً مستقلاً بنفسه مستعداً لركوب الأخطار والمهالك في كسب الرزق وإخماء الثروة وهذا هو الذي رفع شأن ألمانيا بين الممالك والقوام فأصبح لها المقام الرفيع في عالم الحرب والسياسة والاقتصاد، وفي حياة

الشعب الألماني وما تقلب عليه من حوادث العسر واليسر والتشتت والاجتماع
والانحطاط والارتقاء عظات بليغة ودروس نافعة للأمم الحاملة والشعوب الجاهلة.
إبراهيم حنسي العنبر .

شعر الرحلتين

تداولت أيدي المطالعين في الشهر الأخير كتابين شغلا جانباً عظيماً من ساعات فراغهم
وحلا محلاً حسناً من قلوبهم وأكثر الصحف من ذكرهما والحث على اقتائهما حتى
شعر بنفسه بالنوق إليهما كل من لم يكتب له العثور عليهما وليس في أمرهما مجال الغرابة
فإن كتابين أحدهما يضم بين دفتيه ما اتفق لأدباء الشام وفلسطين من الشعر والخطب في
استقبال أحد عظماء الدولة وكبار رجالها أنور باشا والثاني يستوعب أنباء رحلة وفد
عنني سير بأمر القائد الكبير أحمد جمال باشا من ربوع الشام إلى عاصمة خلافة الإسلام،
لهما كتابان جديران بما لقياه من إقبال القراء والباحثين حقيقان بأن يكون لهما الوقع
الحسن والتأثير الأدبي لدى عامة أفراد الأمة أديبها وعالمها وأخصائيهما وجغرافيهما وسائر
طبقاتها من مؤرخ يحفظ بهما حديث رحلتين أفردتهما مكان رحيب في صدر التاريخ،
وشاعر تتمثل له فيهما صورة مجسمة عما بلغ إليه الشعر في دور صولة السيف وجفاف
اليراع وكتاب يلذه ما حوياه من ضروب التفنن في الإنشاء، وخطيب يروقه سماع ما فاه
به خطباء قطره في المواقف المختلفة فهو يصفق للمجيد ويتحسر على البنيذ، وهكذا
فنكل مفكر في خلال الرحلتين نظرة ينسجها بها وكلمة يقولها بهما، أما أنا فمن أولئك
الذين استهوى حب الإجادة في المنظوم أفندهم واستولى الولوع بالشعر على قلوبهم فإن
أردت الكلام فنكتة أدبية أملها أو ملاحظة شعرية أرويه تاركاً ما عدا ذلك من مباحث

الكتابين إلى المشتلين به وها أنا ذا أشرع ببيان ما عثرت عليه فيهما من الحسن الجيد أو المنتقد الذي لم أجد بداً من إظهار ما خالج الضمير من البوح به على أفي لا أنجس الناس أشياءهم ومعاذ الله أن أفعل وفي شعراء الرحلتين عدد من أئمة الأدب وجهابذته وذوي المكانة الرفيعة والمزلة السامقة من ناظمي قلائده وناثري فرائده قد يجرهم الموقف ويضطرهم الحث على الإسراع إلى تجاوز بعض الحدود في التراكيب والقواعد أو التصور والخيال ولا أراهم بملمومين اللهم ولا أراني منوماً إذا أشرت إلى الشيء اليسير من هذا النوع خدمة للأدب واللغة والعاملين على الرفع من شأنها. . .

أول ما ييلهمك من الشعر في الرحلة الأنورية قصيدة غراء أعجبتني منها قول ناظمها (ص ٣١):

فليعلم القوم الذين تجبروا ... أنا القضاء على الذين تجبروا

وأما القسطل في قوله (ص ٣٢):

والنيل قد مدت إليه قسطل ... وجرى أمام ألفاتحين الكوثر

بمعنى الأوعية التي يجري فيها الماء من الحديد أو غيره فلا أحسبه مما عرفته اللغة فكان ينبغي الإشارة إلى أنه من محدثات المتأخرين وإنما القسطل الغبار. . ولا سبيل إلى منع صرف السبع بتكلف في قوله:

وبئر سبع جرى الحديد كأنما ... بخطوطه للنصر نكتب أسطر

والقصيدة الثانية في الكتاب تعد من غرره ودرره إليك منها (ص ٣٣):

يوم يتيه به الزمان ويفخر ... ميألق بالبشر أبنج أزهـر

مشت الكتاب فيه يتبع بعضها ... بعضاً تحب بما العتاق الضمير

والبض في أيدي الكمأة لوامع ... كالبرق تخفى في العجاج وتظهر
 ومواكب في أثرهن مواكب ... من فوقها خفق اللواء الأحمر
 هتفت فرددت البلاد هتافها ... لما بدا سيف الخلافة أنور
 بطل له في الخافقين كليهما ... تاريخ مجد بالسيوف مطر
 وما كان ليتبغى لصاحب هذه القصيدة أن يمنع من الصرف اسم علم الجمال في قوله
 (ص ٣٦):

وجمال منه لديك خير معاضد ... في بأسه ذكرى لمن يتذكر
 ومن الطالع الحميلة في الكتاب ما ورد (ص ٤٠):
 زها السرق لما لاح أنورنا ألفرد ... فمن وفده نور ومن وجهه سعد
 وفي هذه القصيدة أبيات منتخبات وكان يحس بصاحبها أن يبتعد عن لغة الإشغال الرديئة
 في قوله (ص ٢٤٢):

وحرب ضروس أشغلت حركاتها ... ممالك أوروبا وضاع بها الود
 وعن تعدية أغار باللام في قوله:

أغار العدى للدردنيل ومادروا ... بأن بجوف الدردنيل هو اللحد
 وله أن يقول: في الدردنيل. وفي الشطر الثاني ركة ظاهرة تشفع بها
 أجادته بعد أبيات بقوله:

فأبوا لسد البحر ييغون منفذاً ... فعادوا وقتلهم ورائهم سد

وراقني من المطالع قول الآخر (ص ٤٤):

ملك الجمال اطلت فيك تحيري ... فإذا عجزت عن امتداحك فاعذر

وقول غيره (ص ٤٩):

يا أمة لبني عثمان تنتسب ... لأنت في عزة تحنى لها الركب
ولم أرى من يجمع الخطب على خطب وقد جاء في قوله (ص ٥٠):
أو من يضاهي جمالاً في حماسه ... فرداً به تتقي الأزمات والخطب
وفي هذه القصيدة أبيات عامرات يعجبني منها قوله (ص ٥١):
هلا ذكرنا حيال الدردنيل قوى ... من الحديد بها الأمواج تضطرب
تضيق عنها فجاج البحر عابسة ... تسعى إلى الموت في أنيابها العطب
تبغي اقتحام عرين الأسد معلنة ... أن الأعادي على تذليلنا أعتصبا
فقابلتها غداة الروع صابرة ... صبر الكرام أسود هزها الغضب
إلى أن يقول:

ردوا الأساطيل قوي في مذلتها ... يقودها للنجاة الخوف والهرب
وأكثر النحاة على كراهية إدخال آل على كل وأن أجازها فريق منهم جاءت في قول
آخر (ص ٦٥):

وعلى العلائق بدت مطالع فوزنا ... والكل أضحي بالمتى مستبشراً
وما أرشق قوله بعده:

فوز به طاف السرور بطيبة ... وقللت فرحاً به أم القرى
ومن عيوب الشعر الشائعة في هذه البلاد الاختلاس وهو زيادة حرف على الوزن يسرق
في الإنشاد كقول الثاني (ص ٦٧):

لا سيما فخري باشا من به افتخرت ... بين البرية أبرار وأحرار

وما أحسن قول الآخر من قصيدة يخاطب رجلي الدولة الكرمين (ص ١٢٦):

منكما هزت الشريعة سيفاً ... صقلته من السماء يدان
سيف حق يسيل ناراً ونوراً ... ما عهدنا الضدين يجتمعان
وفي قول الآخر إشباع معيب (ص ١٣١):

ولم تكتف منها برد حياتها ... وما فقدته من مفاخرها العز
وفي البيت الآتي قطع همزة الوصل مما لا يجوز للشاعر المجيد وإن تسامح به العرضيون
لك أسم أصوغ منه بمدحي ... عقد در من الثناء مجوهر
ولا أرى مثل هذا الاكتفاء من البديع وأن عدوه في البيع في قول القائل (ص ١٣٧) ولا
تنس الكل:

يتمرنون على القتال يديرهم ... عرفاؤهم والكل في طرب وفي
وكأنه هان على ناظم هذه القلادة فقال بعد أربعة أبيات:

يا رب فانصره وأيد عرشه ... فيدوم في ظفر وفي عز وفي
ولعله أراد في الثانية معنى الوفاء فكان عليه أن يقول: وفي بالتشديد ولا يخلو من ضعف
في معناه. . وأين الأدب مع الله في هنيه إياه عن التأفف بقوله:

فلأنت موثلنا ومنك غياثنا ... وإليك مرجعنا، فلا تتأفف (!)

فهل يخاطب غير السوقة بهذا القول. . واستعاض الآخر عن المهيب المهاب وهو مما انتقده
الباحثون قال (ص ١٤):

سلام على جند ابن عثمان إنه ... لجند مهاب لم يرعه التكاثر

وما أدري ما دفع الشاعر الآخر إلى وصف القائد المقدم بلقب الشهم وهو مما ابتذله الطبقات المنحطة وأصبح ينعت به الكثيرون من العامة، قال يخاطب أنور باشا (ص ١٤٥):

كذاك أخوك الشهم (؟) أحمد عصرنا (؟) ... جمال لدى الهيجاء ليث غضنفر .
وكان الأجدر بهذا الشاعر أن يتفطن لما فطن به الشاعر الأندلسي محمد بن القوزراني (الترجم في بغية المتلمس) بقوله:

ظلمناك إن قلنا الأجل ولم نقل ... هو الواحد المفضل والأوحد البر
وشاعرنا القائل في قصيدته (ص ١٤٤):

فيا فارس الإسلام في كل معرك ... ومن عزمه قد ذل كسرى وقصر
أراد: ويا من من عزمه إلخ وأما كسرى فلا أعلم ما جاء به اليوم؟ . وهو القائل بعد أبيات:

وكن لجمال العصر عوناً معضداً ... ولا سيما في فتح مصر مبشراً .
أراد: مبشراً فغلبته القافية . ويخطيء الكثيرون بوضع إذ مكان إن كقول الآخر (ص ١٤٧):

سل عن بسالته وشدة بأسه ... إذ كنت تجهل سر أنور في الورى
أراد: إن كنت . وعجيب من الآخر تشبيهه أنور باشا بإبن مقلته وحسان قال (ص ١٤٨):

أين ابن مقلته ابن حسان إذا ... خطت يده من البلاغة أسطرا

وابن مقنة خطاط وحسان شاعر فأين شاعرنا من تشبيه القائد الكبير بالفاتحين المغاور
كابن الخطاب والخراساني والفتح وابن الوليد وأمثال هؤلاء... ولم أجد
الظميئة فيما بين يدي من كتب اللغة والأدب قال آخر (ص ١٧٧):

وكيف تطيب النفس عن ورد فضله... وموردها وهي الظميئة كوثر
وفي القاموس: ظمىء كفرح وهي ظمآنة. وفي الصحاح: وبابه طرب وهي ظمأى. ومثله
في لسان العرب وأساس البلاغة. وفي التاج: قال شيخنا: وظمئة كفرحة زاده ابن مالك
وهي متروكة عند الأكثر. فأين الظميئة. ولعله أراد تصغير ظمئة وهو ركين وفي هذه
القصيدة مفردات تميز بالجوادة ومثانة السبك كقوله (ص ١٧٧):

وجاهدت حتى عاد للدين عزه... وباء عدوي الله بالخزي يعثر
برزت إليه والأسنة شرع... وخطب الرزايا (؟) للمنايا مشعر
فأوقع فيه سيفك الغضب محنة... ستذكر حتى يحشر الناس محشر
وهناك تجوز ضعيف ارتكبه الثاني بقوله (ص ١٨٠):

أهلاً بأكرم معشر... حيوا فأحيوا الأربعا
يريد فأحيوا، بفتح الياء، فلم يسعفه الوزن. وفي هذه الأبيات بيت يذكر في ألفوائد وهو:
النصر من أنصاره... يسعى له أنى سعى
وأخطأ صاحب هذه البيات في قطعة ثانية قال فيها (ص ١٨١):
فمر السعادة أنور... والبدر أهدنا المجد
والفرقد الوضاء عزمي... داموا بتوفيق محمد
فالبيت الثاني غير مستقيم. ومن بديع ما في الكتاب قصيدة جاء فيها (ص ٢٣):

جيش تألف والإسلام رأيته ... من خيرة العنصرين الترك والغرب
سارت بحفله الأقدار تقدمها ... ملائكة الله فوق الخيل والنجب
تسربات بدروع الوحي واعتقلت ... من نبعة النور أطراف القنا السلب
وبعد أبيات وصف بها جنود الأعداء (ص ٢٣١):

الت: سأرحل عن مصر وما رحلت ... قالت: أثوب إلى العدل ولم تشب
وفي ابتداء القصيدة (ص ٢٢٩):

مذ قيل أنور الشعب في حلب ... قد ماجت القدس من صفو ومن طرب
ولو قال: ماجت له القدس، لكان أرق

ترى النفوس على طول القطار له ... من شدة الشوق منقاة على القطن
بها انتظاراً إلى ميمون طنعتة ... ما بالقطار من التضرام واللهب

ولو قال: بمن شوقاً، لكان أحسن من الإنتظار. . وما دريت الفرق بين النجب والنجب
في قول الآخر (ص ٢٣٧):

لله أنور المقدام من شهدت ... بحزمه الخلق من نجب ومن نجب

وقال آخر (ص ٢٧٢):

لا غرو أن أمّ هذا القبر مبتهلاً ... يستمنح النصر حتى يأتيه (؟) الظفر

يريد: حتى يأتي الظفر. وهو القائل (ص ٢٧٤):

هذا الوزير الذي جنت مآثره ... أن يحصها العد أو أن تحوها ألفكر

يريد أن يحصها وأن يحويها. ومن أحاسن هذه القصيدة:

هشت لمقدمك اغيوب تربتها ... كأنا أنت في أحيائها مطر

أذكرها زمن الصديق من حقب ... أو يوم يحكم في أرجائها عمر
أراد: يوم كان يحكم. وأحسن منه: أو يوم حكم.

يسعى وغايته الإخلاص مجتهداً ... ودأبه الجد والتفكير والسهر
والأفضل لو قال: وغايته العلياء أو ما معناه وأما الإخلاص فعنوانه وقائده ومسيره.
تلك المزايا التي خص الإله بها ... قوماً هم الناس أن عدو وإن ذكروا
واستعمل الآخر حيث للتعليل ولم تعرفه العرب بل هو من مستحدثات المولدين قال
(ص ٢٧٩):

يا حمص تيهي حيث زارك أنور ... رداء الخليفة سيفه البتار
وهو القائل:

عم البسيطة والبرية عدله ... فالخلق شخص والبسيطة دار
والشطر الثاني مما لا يتحصل منه معنى. وقال:

يا واحد الدنيا الذي بشبهكم ... عقم الزمان وضنت الأدوار
أراد: بشبهه. وهو أدرى بالأدوار! وعجبت من قوله:

أيدت دين الهاشمي فلم يضع ... لبني الشريفة عند سيفك ثار
فكأنه يقول. أن بني الشريعة (يريد المسلمين) قد أدركوا ما لهم عند سيفك من الثار
القديم، وفيه ما ترى! وهو يقصد عند وجود سيفك
وأعجبني من قصيدة أخرى قول منشئها (ص ٢٨٦):

لك المترل المعمور فينا وإنما ... غداً في قلوب المؤمنين يعمر
نظمت من الإسلام أسنى قلادة ... وكادت وأيم الحق لولاك تشر

وما أبدع قوله بعده:

وكيف ترى الأيام محو سطوره ... وفي كل صدر م { من منه أسطر

ثم يقول:

ومد على الإسلام منه سرادق ... يسان بها دين الحنفي وينصر
والسرادق مفرد مذكر فحقه أن يقول: يسان به. والحنيف الصحيح الميل إلى الإسلام
الثابت عليه. والأولى أن يقال: دين الحنيف كما قال لسان الدين بن الخطيب: يا ناصر
الحنيف وأهله. البيت. ثم قال وخطأه النحوي ظاهر (ص ٢٨٨):
وعما قريب يحبط الله سعيهم ... ونربح مصرًا والعراق ونخسروا (?)

ومن جيدها:

أيا واحداً صحت جموع صفاته ... وأعداؤه جمع ولكن مكسراً!
وفي القسم الأخير من الكتاب قصيدة هي من خير ما فيه مطلعها (ص ٢٨٩):
كسعيكما فليسع من يطنب الجدا ... فمن حاد عن هجيكما أخطأ القصد
أعزما إلى حزم ورأياً إلى هدى ... لقد جزتما من طاقة البشر الحدا
لي أن يقول: أنور لا ننسى مواقفك التي ... تشيب على أهوالها الأسد الورود
مواقف أعشى كل رأي ظلامها ... فكنت برأي ألفرد نيرها ألفرد
فهل لك نفس هذه ... فأرخصت فيها السوم إذ تشتري الحمدا
فأي يد تحصى أياديك حمة ... لقد ضل من أحصى النجوم ومن عدا
رأيتك في أجيال برقة قائماً ... يزين لك الأقدام خطب بما اشتد
جمعت قلوباً فرق الجهل بينهما ... وألفت منها في مجاهلها جندا

ثم قال:

ولو كنت يوماً بالتاسخ قائلاً ... لقلت ابن سرح في صحابته ردا
 هذا بعض ما أردت إرادته من شعر الرحلة الأنورية وأما كتاب البعثة العلمية فالشعر فيه
 أقل من النشر على كثرة ما فيه من المنتقد قال أحد شعرائه (ص ١٩٥):
 شرف التمثل بين أيدي أعظم ... يبنى عليه تراحم الأدباء
 فلا أعلم ما يصنع بياء أيدي المختلسة وهو يمر عليها عند تلاوة البيت مرور الكرام!
 يا موسى يا مفتي الأنام وشيخهم ... يا مرجع الأحبار والعلماء
 وهو يمر بالحرف الأخير من موسى مروره بالياء الأخيرة من أيدي السابقة ولعله يريد: يا
 موس، على الترخيم فيكون الخطأ في الطبع
 يا عادل في نشر شرع محمد ... يا قائم برياسة النقباء
 والأحسن: يا عادلاً، ويا قائماً.
 يا منقذي الإسلام والبلد الحرام وحافظي فاروق (?) من أعداء
 يريد: فروق، وهذا من تحريف الإعلام، وقد أورده الشاعر نفسه في قوله من أبيات آخر
 (ص ٨٠٢):

سنشكركم سكان فاروق. . كلنا ... دخلنا بيوتاً للتهجد والنسك. .
 وما أدري الباعث على اختصاص بيوت العبادة للشكر. . وأما تنكير أعداء في البيت
 السابق فقبیح. . ومن رقائق الكتاب أبيات تلاها الآخر في مآدبه (ص ١٩٦)
 هذه ليلة السعود وإني ... أنا أهوى ليالي الإسعاد
 ليلة أشرقت بنور علي ... ورجال الحكومة الأعماد

هي مني مكان قلبي من الصدر ... ومن ناظري مكان السواد

ولآخر قصيدة في خيار ما في الكتاب، أعجبني منها قوله (٩.٢):

ولم أرى كالإخلاص في حب دولة ... فكم أرحب الإخلاص من رجل صدرا

ولم أرى كالإنصاف في جمع أمة ... فكم وحد الأنصاف من أمة فكرا

وهو القائل قبلهما يخاطب رجال فاروق (ص ٢١):

فكنتم نجاد الملك والعرب سيفه ... وكنتم يمين الملك والعرب اليسرى

وكان على بعد البلادين بينكم ... هدى الدين سلك الكهرباءة والجرى

وما أحسن استدراكه في قوله (ص ٨.٢):

سلام على الدستور حلوا مذاقه ... وإن كان بعض الناس قد ذاقه مرا!

وجل أبياتها من الغور لولا المسألة الأخرى في قوله (ص ٢١):

أما أنتم بالحزم كنتم رجالها ... وقد كنتم أعلى بمسألة أخرى (؟)

وإدخال ال - على غير قبيح وإن جوزوه بعض البحثين، قال آخر يمدح الأساتذة

(ص ٢٣):

لئن طال مدح الغير فيها تكلفاً ... فإن قصور المدح بالشعر أجهل . . .

وفي عجز البيت ما فيه . ولم أدر ما المترجم في قوله (ص ٢٢١):

ويطرف طرف مد بالسوء نحوها ... وعقل رماها بالترجم يعقل

وفي البيت الآتي خرق لا يرتق:

وإن رام يوماً شاعر وصف ما حوت ... ولو أنه الضليل راح مضلل . . .

يريد: راح مضللاً، ولكن القافية لم تعنه. وأعجبني من هذه القصيدة قوله (ص ٢٢٢):

ورب أمرىء في حبههم عاد عاذراً ... وقد كان لي بالأمس ينحى ويعذل
ومن خيرة قصائد الكتاب قول الشاعر يخاطب دولة أحمد جمال باشا بعد عودة الوفد من
عاصمة الملك (ص ٢٦٠):

سرى وفدك الغازي ومثلك يوفد ... وعاد بملء البشر والعود أحمد
سرى منك مضمون النجاح مسيرة ... وطالعه يا كوكب السعد أسعد
يعني رئيس الوفد الأستاذ الشقيري

سرى لمقر الملك والذين قاصداً ... كما يقصد البيت العتيق الموحد
وما أرق قوله يصف زيارتهم لدار الحرب (ص ٢٦٣):

فكدنا نضم الرمح قدماً مهفهفاً ... ونلثم حد السيف وهو مورد
وحرّف المثل الذي هو أعقد من ذنب الضب بقوله (ص ٢٦٤):

إذا أدبروا فالخزي أو أقبلوا الردى ... فنوقعهم من ملنس الضب أعقد
ومن الطراز الأول في الكتاب قصيدة في مديح أحمد جمال باشا جاء فيها (ص ٢٨٦):

تبيت رعاياه بعين قريرة ... ويقضي سواد الليل يقظان ساهداً

ومن طلب العلياء وانجد لم يكن ... إذا رقد العز المفرط راقداً

قلو أن مجد المرء أخلد ربه ... بقيت على الأيام في الدهر خالداً

ومنها في وصف الأعداء:

أقاموا على شط القنال معاقلاً ... ستبقى لهم يوم اللقاء مصانداً

ويذهل فيهم والدعن وليده ... ويخطيء وجه الشد من كان راشداً

إلى أن يقول في خطاب الممدوح (ص ٢٨٨):

ومن نيط يوماً في ملاك رجاؤه ... تناول بالكف الخجرة قاعداً

وفي القصيدة بيت يقول فيه (ص ٢٨٦):

رمى الله منك الإنكليز بصارم ... صقيل يقدر الهند وأني غامداً

يريد: مغمداً أو مغموداً ولعله ألحقه بباب عيشة راضية ولم يسمع في هذا الفعل.

وأخالي قد أطلت على القراء ولو أردت البحث في كل ما عليه النظر من مليح وقبيح
لمئات الحائف الكثيرة وحسب الواقف على هذين المؤلفين أن يجتمع له آثار فريق كبير
من شعراء هذا العصر كأمين بك ناصر الدين والسيد حبيب العبيدي وشلي بك ملاط
والشيخ مصطفى الغلاييني والشيخ علي الريماوي والسيد بدر الدين النعساني والشيخ
عبد الكريم عويضة والشيخ سليم اليعقوبي وغيرهم من رجال الشعر والأدب. وفيها عدد
من القصائد التركية وخطب ومحاضرات مفيدة منها للخطيب الكبير الشيخ أسعد
الشقيري رئيس الوفد ومنها لمصنفها المفضل وغيره من الصحافيين والأدباء والفضلاء.
وبالجملة فالكتابان روضتا شعر وأدب يحسن بالتأدب اجتناء ثمارها كما يحسن بي أن
أتقدم بالشكر لمؤلفها الأستاذ صاحب هذه المجلة الزهراء الذي وقف حياته على خدمة
العلم والاجتماع والتاريخ والأدب ولا أنسى الإشارة إلى أنني لم أكن أنظر في هذا النقد
إلى الأسماء والألقاب فأثني وأطري وأنقد أنتقم شأن بعض المتصدين لمثل هذه الأبحاث بل
نظرت إلى الشعر دون الشاعر والقول دون القائل ولعلها تسلم لي الإصابة في جل ما
ذهبت إليه خدمة لهذه اللغة وآدابها والله المستعان في كل آن

دمشق

أحد القراء

رزايا الحروب ومزايا البشر ونتائج الفنون
 عفت الربوع فلا رنوع ... وخلا الجميع فلا جميع
 أين الغواني بالمعاني ... لا يروعه مريع
 الساحبات مطارفاً ... عنها الشذا الداري يضوع
 المالكات وما لها ... إلا الإبا التاج الرفيع
 والمرسلات لواحظاً ... كم بين أسهوها صريع
 في شعرها عيس الدجى ... وبثغرها ضحك الصديق
 فبدت وما طويت على ... غير الجوى منها الضلوع
 ما أن لها إلا الصدى ... أن تدع معشرها سميع
 تستنجد العبرات إذ ... لا منجد إلا الدموع
 صدعوا لها شلاً به ... لفؤآدها منه صدوع
 بالراح تدفع وثبةً ... ليست تفل لها جهوع
 وتخال أن زفيرها ... لعداء أعداها دموع
 ترنو لمبغوم وأحشا - ها يقطعها التروع
 لم يدر ما معنى الحيا - ة وكيف يفهها رضيع
 ويكاد يسلم نفسه ... لنحتف والده الجزوع
 فله مدامعه تذا - لجوى وللحرب النجيع
 وفؤاده كلوائه الخفا - ق خفاق مروع
 تدعو الوغى فيجيبها ... ويحجب إذ تدعو الربوع

ولرب ليل لم يزر ... طرفي بمنحيه هجوع
 قلبت صفحة أفقه ... ولكم به مرأى بديع
 فقرأت أسطوره وما ... غير الدراري لي شعوع
 كم قد تردى بردة ... من نسج ظلمته جزوع
 وإذا نضى عنه هزيعاً ... لفه منه هزيع
 يشكو الولوع لنجسه ... من قد أضرب به الولوع
 ما اهتم إلا طائر ... وله بداجيه وقوع
 والنجم قلب فيه يخفق ... ليس تحضنه ضلوع
 يشكو كما أشكو جوى ... ويذيع منه ما أذيع
 وخفوقه عن وجدده ... والدمع عن وجددي مذيع
 والفكر يدينه وأن ... ينأ به الأمد الشوع
 ناجيته لو كان لي ... منه على النجوى سميع
 ألرهية أبعت عن ... أرض تقلبها سريع
 ترنو إلى أبنائها ... شزراً وكنهم مروع
 وهم ضرائب للقوا - ضب والرماح لهم شروع
 أحرارهم ما انفك في - ها يسترقهم الخضوع
 ألفوا الحمام كأنما ... هو طائر لهم سجوع
 وفشا الخداع بهم فنا ... يلقى بهم إلا الخدوع
 درسوا ألفنون وإغلبهم ألقون فنا مريع

مرعى الفضيلة مجدب ... والنقص مرعاه مريع
 لهم البدائع في الزما - ن وكل صنعهم بديع
 لولا التجاذب بينكم ... ما كان منكم لهم طنوع
 الجهل فرقههم فهم ... شتى وجهلهم جميع
 قطعوا به أرحامهم ... ولكم به رحم قطع
 رهج الكفاح لبوسهم ... ودخانهم لهم دروع
 وصدا الدروع غيرهم ... ومن النجيع لهم ردوع
 يتجرعون بدهرهم ... غصصاً هي السم النقيع
 ومن الدماء لبائهم ... والمرهفات لهم ضروع
 أغرى العداوة بينهم ... أن ليس بينهم قنوع
 وأضلهم طرق الهداية ... والنهى الحسد الشنيع
 وإذا يدا طمع يهيب ... بهم له برق خدوع
 حسدوا النجوم مكانها ... ومكانها عنهم رفيع
 ولكم وراها من (منا - طيد) جرى لهم تبيع
 دفعت وليس لها سوى ... غاز يخفرها دفوع
 فكأنها راع وما ... غير النجوم لها قطع
 تعصي الرياح عواصفاً ... ولتزر غازهم تطيع
 فكأنها سفن وما ... غير الرياح لها قلع
 وكأنها هي طائر ... وجناحه البرق اللعول

أو مثقلات حملها ١ - لأهوال والقيال الذريع
 إن راق منظرها العيو - ن فأن مخبرها فطيع
 هي للردى سبب وكم ... في وصله سبب قطع

النبطية

سليمان ظاهر

مطبوعات ومخطوطات

كلمة موجزة

في سير العلم وسيرتنا معه لإسعاف أفندي النشاشيبي

هي كراسة كان حاضر بها صاحبها بعض فضلاء القدس وطبعها على حدة في مطبعة دار الأيتام السورية ألم فيها بتاريخ العلم في العالم وذكر ما كان لصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم من الأثر الذي تغيرت به الأرض وبعد أن ذكر ما كان لأئمة العلم في الإسلام من الآثار الخالدة قال ما ننقله نموذجاً من إنشائه العذب أيضاً: والعلم الحق لن يلقاه في هذا العصر ناشده ولن يجده رائده إلا في الإقليم الإفرنجي فإن أهل هذا الإقليم قد هجروا الكرى منذ قرون والمشاركة هاجدون وأنشأوا يفكرون ويحققون ويقتبسون من فطنة كل علم ومثنة كل أدب ما يقدرون على اقتباسه ويقاومون كل من ثنهم عن معرفة أو قدعهم عن طلب حكمة ولم يقعدهم عن مواصلة السير في نشدان الخير أمير قاهر أو كردينال جائر أو ديوان تفتيشي أو منشور باباوي أو نار طلم موقدة أو أخدود ذو جاحم مستعر يقذف فيه كل من تفكر واعتبر وبحث ونظر وأبى أن يسم نفسه بسمة الجاهلين ولم يبرح القوم مشيحين دائبين ومشيرين منكشين حتى جاءت هذه العصور